هبوب الريح في الطين

آدم وحواء ... وكان من الممكن أن يحتشد عالم سيمون فتال بكل حيوانات سفينة نوح - فهاجسها اعادة العالم سيرته الاولى - التي ما تزال بقاياها على صعيد جبل قاف.. او بنواحي "الباب والابواب" كما ذكر المسعودي في تاريخه نقلا عن بعض الاخباريين العرب القدامى. وما تزال هذه السفينة محتفظة ايضا ببعض الهياكل العظيمة، ويقال ان بعض الرحالة الانكليز المغامرين قد عثر عليها في تلك البقاع الضائعة من وهاد آسيا في آخر القرن التاسع عشر وكان يريد ان يصل الى تحديد اراضي مملكة القس يوحنا في الهند، والذي كان حلم الصليبيين طيلة قرون وهو ان يأتي الملك المسيحي لنجدتهم بجيش من مملكته في الهند وظن الرحالة الانكليزي المسكين ان هذه الاخشاب النخرة ورمم الحيوانات المتحللة بقايا عربات حربية مغولية، وكتب تقريرا مطولا حولها..

هكذا تتبدى لي شخوص سيمون فتال النحتية، ملتبسة مثل سفينة نوح واقعية وكاذبة.. وهي رمزيا كسفينة نوح انقذت شيئا بدائيا فينا ينتمي الى ما قبل الطوفان.. وكسفينة نوح ايضا، اسطورية غير حقيقية وذاك شرفها، فالاسطورة هي الحقيقة الخالدة والدينامية والفاعلة في التاريخ وليس الحقائق الموضوعية كما يحب ان يسميها الارسطيون المهووسون بما يسمى بالموضوعية... ففي نحوت سيمون فتال يتجلى احيانا الطين ملطخا وكأن بفعل مياه مطرية قوية تركت اثارها الفجائية عليه، وجف الطين بفعل الريح والشمس التي حورته هي بدورها - هكذا تتدخل الطبيعة لتترك لمسة المطلق على اعمال هذه المرأة - ... ومرة اخرى نرى اثر التعبيد والجس بالانامل مطوعة سيمون بهذا الفعل العريكة لتسوي منها اشكالا شبيهة بنحوت الاطفال (يجمع بينها العفوية وغياب الذاكرة) بيد ان ما يشدك الى نحوت سيمون فتال هو هذا الحضور البدائي الغفل ولكنه ليس الهيام بالفن الساذج ولا هو الهيام بعوالم الانسان البدائي الطيب انسان جون جاك روسو وغوغان؛ ولا هو عودة لاستلهام العاديات وتماثيل آلهة الاجداد والمعبودات البدائية التي كشفت عنها الانثربولوجيا التاريخية.. لا.. لا.. انها اعمال بدائية بشكل آخر مغاير.. ان ما يلفت انتباهك بل ويأسرك في اعمال سيمون فتال النحتية واخذ هنا آدم وحواء مثالين وعلامتين ان هذه الفنانة تقوم بتعبيد وتسوية طينها لاول مرة قبل وجود النحت.. تفعل ذلك في البدء، بدء العالم فهي بلا ذاكرة نحتية ، بلا مثال مسبق... بلا مرجعية... لأن سيمون تعمل خارج النظريات و خارج التنظيرات والمدارس فهي مثل آدم وحواء بالتمام اذ يلمسان العالم لاول مرة، فيمنحانه المعنى. بيد ان سيمون تترك شيئا من المطلق، شيئا من عبور الروح وحلولها في الاشياء، او هو هبوب الروح في الطين... يجف الطين ويتحول كما - تقول فلاسفة العرب - من جسد كثيف الى جسد لطيف.. وانت تشهد النحت لاول مرة كما شهد آدم اول مرة مياه الفرات ذات صباح.

خالد النجار
تونس ٢٠٠٠